حرب التجويع الإسرائيلية على غزة

2024/4/15

منذ الأسبوع الأول للحرب على قطاع غزة، أعلنت إسرائيل نيّتها محاصرة الشعب الفلسطيني في القطاع وتجويعه. فقد صرح وزير الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، يوم 9 تشرين الأول قائلا إننا "نفرض حصارا كاملا على غزة. لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا غاز، كل شيء مغلق. نحن نقاتل حيوانات بشرية ونتصرف وفقا لذلك"، وأعلن وزير الأمن القومي الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، يوم 17 من الشهر نفسه أن "الشيء الوحيد الذي يجب أن يدخل غزة هو مئات الأطنان من متفجرات سلاح الجو، ولا ذرة واحدة من المساعدات الإنسانية"، كما صرح وزير الطاقة والبنية التحتية الإسرائيلي، يسرائيل كانتس، أنه أمر بقطع المياه والكهرباء والوقود عن قطاع غزة، وقال الرئيس الإسرائيلي، إسحق هرتسوغ، أنه "لا يوجد مدنيون أبرياء" في قطاع غزة. كما صعّدت الصحف والإذاعات والتلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي الإسرائيلية عمليات التحريض والدعوة لمحو غزة عن الخارطة وتسويتها بالأرض.

انعكست تلك التصريحات والتحريض في العمليات العسكرية التي نفذها الجيش الإسرائيلي على أرض الواقع. فقد فرضت إسرائيل حصاراً كاملاً على قطاع غزة، ولم تكتف بالأعمال الحربية من قصف ومجازر وتدمير، بل تعمدت تجويع سكان القطاع المدنيين بهدف تدميرهم وتهجيرهم وإبادتهم من خلال سلسلة من الأعمال الانتقامية، شملت قطع المياه والكهرباء والدواء والوقود وكافة الإمدادات الغذائية، وقصف وتدمير المخابز والمصانع والمتاجر ومخازن الدقيق ومحطات وخزانات المياه وقوارب الصيادين، وقامت بتدمير الأراضي الزراعية والبنية التحتية في غزة. كما قامت إسرائيل بقصف شاحنات الطعام، وأطلقت النار على الأشخاص الذين كانوا ينتظرون شاحنات المساعدات الغذائية فقتلت أعداداً كبيرة منهم، وقصفت مراكز التموين التابعة لمنظمات الإغاثة الدولية، لاسيما وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين (أونروا)، التي اتهمت إسرائيل عدداً من موظفيها بالتورط المباشر في هجمات 7 تشرين الأول، وأطلقت حملة ممنهجة للقضاء عليها، واستهدفت عمالها وموظفيها في قطاع غزة فقتلت ما لا يقل عن 171 منهم خلال الأشهر الستة الأولى على الحرب. كما قصفت إسرائيل حراس الشاحنات وعمال الإغاثة بشكل متعمّد، كما حدث في 2 نيسان 2024 عندما قتلت سبعة من عمال المطبخ المركزي العالمي أثناء توزيعهم للمساعدات في قطاع غزة.

ولا تزال حرب التجويع الإسرائيلية على قطاع غزة مستمرة.

ولا تزال صور أطفال غزة وهم يتضوّرون جوعاً وخوفاً، بوجوههم الشاحبة وأجسادهم النحيلة التي أصبحت أشبه بهياكل عظمية، تفطر القلوب، ولا تزال صور الآباء والأمهات وهم يبحثون عن لقمة خبز لأطفالهم، ثم يتم قصفهم وهم ينتظرون شاحنات المساعدات أو طرود الإغاثة التي تلقى إليهم من الجو، شاهداً على واحدة من أبشع حروب التجويع في العصر

الحديث، وانتهاكاً صارخاً لكل الأعراف والقوانين الدولية التي تعتبر تجويع المدنيين عمداً، بحرمانهم من المواد الضرورية التي لا غنى عنها لبقائهم، بما في ذلك تعمد عرقلة الإمدادات الإغاثية الإنسانية، جريمة حرب.

لقد شهد التاريخ الحديث بعض حروب التجويع التي يعيدها حصار غزة إلى الأذهان. لعل أطولها كان حصار القوات الصربية لمدينة سراييفو مدة أربع سنوات تقريبا (1992–1996) خلال حرب البوسنة، حيث قامت بمنع الغذاء والإمدادات الأساسية من الوصول إلى المدينة مما أدى إلى وفاة أكثر من 11 ألف شخص. ولكن أقسى وأفظع حروب التجويع التي شهدها التاريخ الحديث كانت حرب التجويع النازية على لينينغراد (سانت بطرسبرغ حاليا)، والتي حاصرتها القوات الألمانية النازية في أيلول 1941. وخلال فترة الحصار، قامت القوات الألمانية بقصف جوي لمستودعات الغذاء في المدينة وقطع كافة خطوط المواصلات معها لمنع وصول أي إمدادات حياتية. وقد استمر الحصار وتجويع السكان المدنيين حوالي سنتين ونصف، وراح ضحيته نحو مليون شخص، من بينهم ما يقارب 140 ألف طفل، نتيجة الجوع والبرد والمرض. بل تفاقمت المجاعة في المدينة لدرجة أن السكان تناولوا لحوم الكلاب والقطط وأحيانا الجثث الآدمية.

ما تقوم به إسرائيل الآن هو نفس ما قام به النازيون في الحرب العالمية الثانية. ولكن ماذا كانت النتيجة؟

لقد حاصر النازيون لينينغراد، وعانى أهلها من الجوع والمرض والألم سنوات طويلة. ولكن، في النهاية، اندحر النازيون وانتصرت لينينغراد.

وسوف يعيد التاريخ نفسه!